الباب الأول
أسرار
النجاح في الحياة

obeikandl.com

ليس بالارتجال

التقييم الـذي يتدلى على جدار غـرفتك يحمل «سنـة ١٩٩١»، ولو أردت أن يحمل هذا التقويم «سنـة ٢٠٩١»، فسيكون عليك أن تنتظر قرناً كامـلاً ليتحقق لك ذلك. ومن الممكن أن تكتب -بيدك- أية سنة تريـدها على تقويم غـرفتك، ولكن يجب أن تنتظر مائة سنـة حتى ترى على جدار غرفتك تقويم سنة ٢٠٩١ المعترف به لدى العالم.

وهذه هي قضية تعمير الشعـوب وإنهاض الأمم. إنه من الممكن أن تبني مستقبلاً خيـالياً للأمـة بفيضانات الشعـارات والخطب والقصائد الحماسيـة، ولكن لا يمكن تعمير مستقبل حقيقي لـلأمـة بدون جهـد مخطط طويل الأجل.

إن تعمير الأمـة كـزرع شجرة البلـوط، حيث يجب عليك أن تنتظـر قرناً كاملاً بعد زرع بذرة البلوط حتى تصبح شجرة مكتملة عملاقة.

وإذا كنـا نـريد أن تصبح أمتنـا قـويـة راسخة فـلا بـدَّ أن نخلق في أنفسنا عـزيمة الجهـد المخطَّط الطويـل الأمد. أما الـذين يـريدون أن يصلـوا إلى الهدف النهـائي بمجـرد بدء الجهـد، فيجب أن يعـرفـوا أن جهدهم هذا ليس سوى وثبة نهايتها الموت والفناء، ولا شيء غير ذلك.

فَرْق التفكير

يقول الشاعر الإنجليزي فريدريك لينغبرج (١٨٤٩-١٩٢٣) في بيت شعر له:

نظر شخصان عبر نافذة واحدة
أحدهما رأى الوحل والآخر شاهد النجوم.

ونفس الشيء قد عبَّر عنه شاعر فارسي بطريقة أفضل حين قال:

الفرق بيني وبينك هو الفرق بين سمعي وسمعك
فأنت تسمع غلق الباب وأنا أسمع فتحه.

والزهور توجد مع الأشواك. ونفس الشيء ينطبق على المجتمع البشري؛ فمهما بدت الأحوال الاجتماعية غير مساعدة إلا أنه يرافقها دائماً جوانب مساعدة. والأنسان الذي يتمتع بالنظرة الظاهرية يرى الأشياء السطحية وحدها، ويفشل في مشاهدة الجوانب العميقة، أما الذي يتمتع بالنظرة العميقة فيرى الجوانب البعيدة ويكتشف الجوانب المساعدة بالإضافة إلى تعرفه على الجوانب غير المساعدة.

ويوجد في هذا العالم الوحل كما توجد به النجوم، والأمر متروك للناظر ليرى شيئاً ويتجاهل آخر. وينبعث صوت واحد فيظن الأبله أن الباب قد صُدَّ، أما العاقل فيرى أن الباب قد فتح له.

كل القضايا تنشأ في العقل ويمكن القضاء عليها داخل العقل بشرط أن يتمتع الإنسان بالتفكير السليم.

والحقيقة أن هذا العالم امتحان للعقل . . والذي يستخدم عقله سيهتدي إلى سبيلٍ ومخرج، أما الذي لا يستخدم العقل فلا مصير له إلا الضياع.

وتثور الأمواج في البحر، فمن أراد تسيير سفينته في البحر عليه مواجهة الأمواج والطوفان ليصل إلى هدفه المنشود. وتوجد الحيوانات المفترسة في الغابات، وما على الحيوانات الأخرى التي تعيش بالغابة إلا أن تهتدي إلى سبيل للحياة والنجاة، وذلك بالابتعاد عن الحيوانات المفترسة والاحتماء بالأحراش.

وعين هذا الوضع ينطبق على المجتمع البشري؛ فيوجد بين البشر أناس من كل الأنواع، تتصارع مصالحهم، وبالتالي تنشأ عوامل العداء بينهم. هذا الفرق في الحياة الاجتماعية وجد دائماً وسيبقى دائماً ولايمكن القضاء عليه.

ولا سبيل للحياة والنجاة في ظل هذا الواقع إلا أن يتبنى الإنسان مبدأ البحث عن النجاة رغم أنف العراقيل، فعليه أن يستميل الناس رغم مخالفتهم إياه، وعليه أن يكتشف سر الحياة الهانئة رغم كل الآلام، ومهما بلغت العدوات والمؤمرات ضده عليه أن يمضى قُدُمَاً مؤمناً بأنه - بأعماله الإيجابية - قادر على سحق كل العوامل السلبية.

ولا يبالي الإنسان في هذا العالم بالأشواك لكي يصل إلى الزهور، وهو يسهر على صحته وعافيته رغم تفشي ما لا يحصى من الجراثيم

والأمـراض، وهكـذا عليـه ألا ييأس من الأحـوال غير المسـاعـدة وألا يضيع وقته في الشكاوي والاحتجاجـات، وعليه أن يتواءم مع الحقائق التي لا يستطيع تغييرهـا، وعليـه أن يبحـث عن طـريق آخـر لمسيرتـه مبتعداً عن العراقيل والأحجار، وعليه ألا ينفجر إزاء كلمات أعدائه بل يتعـامل بهم بـالتـدبير والحكمـة، وعليـه أن يقنع بـالقليل اليـوم لكي يُعطَى الكثير غـداً، وعليـه أن يصبر على العـداوة اليـوم لكي يتحـول أعداؤه اليوم إلى أصدقائه غداً.

obeikandl.com

محاسبة الغير

قال رئيس جمهورية الهند الأسبق الدكتور ذاكر حسين (١٨٩٧-١٩٦٩) إنه حين عُيّن مديراً لجامعة عليكره الإسلامية قابله بعض العاملين بالجامعة، وقالوا له: إن عدداً من العاملين بالجامعة رجعيون وطائفيون، وهم يحطمون ويسيئون إلى سمعتها. ولو طردنا هؤلاء فإن جو الجامعة سيتحسن تماماً.. فطلب منهم الدكتور ذاكر أن يقدموا له قائمة بأسماء هؤلاء.

ثم قابلته جماعة أخرى من العاملين بالجامعة وقالت له: إن كثيرين من أساتذة الجامعة شيوعيون وملحدون ولو طردتَهم فإن جو الجامعة سيتحسن تماماً.. فطلب منهم الدكتور ذاكر أن يعدوا له قائمة بأسماء هؤلاء.

وبعد فترة تقدمت الجماعتان بقائمتين، وكانت كلتاهما تحتوي على أسماء مائتي شخص، بينما لم يكن العدد الكلي للمدرسين والأساتذة يتجاوز حينذاك ثلاثمائة شخص. فقال الدكتور ذاكر حسين: كيف يمكنني أن أطرد أربعمائة شخص من مجموع ثلاثمائة شخص!؟

وحين روجعت القائمتان اتضح أن هناك نحو ٥٠ إسما مشتركا بين كل من القائمتين.. فقال الدكتور ذاكر لهؤلاء: «قولوا لي: من سيعلِّم الأولاد لو طردتُ هؤلاء كلهم؟».

هذه الواقعة تكشف عن حالة أمتنا الأخلاقية. فالمسلمون اليوم هم أبطال الهمِّ والتفكير عن «الآخرين»، ولا شخص يريد أن يفكر عن «نفسه». فلدى الكل قائمة طويلة عن مجرمين ومذنبين من «الآخرين»، بينما لا أحد يملك قائمة بذنوبه وانحرافاته.

إن الشعب الذي يتمتع أفراده بمزاج «محاسبة الذات» تكون أموره كلها صحيحة وسليمة، أما الشعب الذي يكتسب أفراده مزاج «محاسبة الغير» فإن شؤونه تتدهور ومصالحه تضيع.

فمحاسبة الذات تُصلِح الدِّين والدنيا معاً، أما محاسبة الغير فتُضيّع الدنيا والآخرة معا.

الفرصة الثانية

نشر مقال في عدد فبراير ١٩٨٧ من مجلة «رِيدَرْزْ دايجيست» بعنوان «تجرأْ على تغيير حياتك». وقد أورد كاتب المقال وقائع عديدة لرجال أصيبوا بالفشل في البداية، ولكنهم لم يفقدوا عزيمتهم، بل ركزوا أنظارهم على فرصة ثانية، ونجحوا في آخر الأمر بعد فشلهم الأول.

ويقول الكاتب في نهاية المقال: «الحياة مليئة بالفرص الثانية، وكل ما نحتاج إليه لأجل فرصة أخرى هي القدرة على التعرف على الفرصة الثانية وجرأة العمل».

والحياة علَمٌ على استخدام «الفرصة الثانية»، وهي حقيقة تنطبق على الأفراد تماماً كما تنطبق على الشعوب، والتاريخ الإنساني بأكمله مليء بوقائع تصدق على هذه الحقيقة. ولم يتمكن الإسلام في الدور الأول من فرصته بمكة، ولكنه استخدم فرصته بالمدينة فصنع تاريخه. ولم تجد الشعوب الغربية فرصتها في الحروب الصليبية، فاستخدمت الفرص العلمية، فوصلت إلى ما كانت تصبو إليه عن طريق الحروب الصليبية الفاشلة.

وكثيراً ما يضيّع الإنسان فرصته الأولى في هذا العالم؛ وذلك لنقص فيه، أو لعدوان الآخرين. ولكن ضياع الفرصة الأولى ليس إلا ضياع

فرصة واحدة وليس ضياع كل الفرص. ولو لم ييأس الإنسان بضياع الفرصة الأولى فهو سيفوز بسرعة بفرصة ثانية ليصل إلى هدفه المنشودة.

وليس من الحكمة محاولة استحواذ الفرص والمراكز التي تمكن منها آخرون، بل الحكمة في البحث عن فرص لم يستحوذ عليها آخرون.

وقد نشرت صحيفة «التايمز» الهندية في عددها الصادر في ١٣ أبريل ١٩٨٩ تقريراً من نيويورك يقول عنوانه: «محاولة اليابان لسبق الولايات المتحدة في مجال السوبر كمبيوتر». وقال التقرير: إن غلبة الولايات المتحدة في مجال السوبر كمبيوتر - أي العقل الآلي الخارق - أصبح مشكوك فيها الآن. وقال المحللون بإحدى المؤسسات الأميريكية: إن السوبر كمبيوتر الياباني سينزل إلى الأسواق في السنة التالية، وسيكون أسرع عقل آلي في العالم.

وقد سمى اليابانيون هذا السوبر كمبيوتر بـ (SX-X)، وهو يعمل بسرعة خارقة تبلغ عشرين ألف مليون حسابية عملية في الثانية الواحدة. وهذا الكمبيوتر الياباني أكثر سرعة بمعدل خمسة وعشرين في المائة من أسرع كمبيوتر أمريكي. ويمتاز العقل الآلي الياباني - إلى جانب دقته المتناهية - بسعره الرخيص.

وأهمية هذا السوبر كمبيوتر ليست محدودة بمجالات البحث العلمي والتنقيب عن النفط والتنبؤ عن المواسم، بل هو هام جداً في مجالات الأمن؛ لأنه يستخدم في عمليات صنع الأسلحة النووية.

وقد دخلت اليابان بهذا الكمبيوتر الخارق عصراً صناعياً جديداً. وأصبحت أجهزة الكمبيوتر «الجديدة» عتيقة وتقليدية الآن،

وأصبحت اليابان تتفوق على الـولايات المتحدة حتى في بعض المجالات العسكرية.

وكانت الـولايات المتحـدة قد دمـرت اليابـان سنة ١٩٤٥ بإنتـاجها «القنبلة الخارقـة»، ولكنها لم تتمكن من سلب اليابانيين هـذا الإمكان، وهو أن يصنعـوا الكمبيوتر الخارق ليحصلـوا على حياة جـديدة ويغيروا مجرى التاريخ خلال ٤٥ سنة فقط من هزيمتهم العسكرية. والتخريب - مهما بلغ حجمـه وطولـه- لا يقضي على فرص البنـاء الجديدة، وقـوة البناء في كل الحالات أعظم من قوة التخريب.

تذكرة النجاح

يُطلَق على المواطنين الأمريكيين القادمين من البلدان الآسيوية وصف «الأمريكيين الآسيويين». وقد جاءت غالبية هؤلاء بعد سنة ١٩٦٥ . وتبلغ نسبتهم الحالية بين سكان الولايات المتحدة نحو ٢ في المائة. بينهم يهود وبوذيون وكونفيوشسيون إلى جانب أتباع الديانات الأخرى.

ولو ظن كل فريق من هؤلاء أن بناء مستقبله كامن في أن يصل شخص من فريقه إلى منصب رئاسة الجمهورية لرأوا أن باب رقيهم مسدود تماماً في الولايات المتحدة؛ وذلك لأنه يجب أن يكون الرئيس الأمريكي مواطناً أصيلاً ، أي أن يكون قد ولد بالفعل من أبوين أمريكيين، وهذا لا ينطبق على المهاجرين الآسيويين. ولو كان المهاجرون الآسيويون قد جعلوا من «الرئاسة» هدفهم الأوحد لأصيبوا بخيبة أمل عظيمة، أو بدأوا نضالاً عقيماً لتغيير الدستور الأميريكي والمطالبة بإلغاء النص الذي يشترط كون الرئيس مواطناً أمريكياً أصيلاً، وذلك لكي يمكن لمرشحٍ من المهاجرين الآسيويين أن ينافس في انتخابات الرئاسة.

ولم يرتكب الأمريكيون الآسيويـون حماقة كهذه. لقد درسوا الأوضاع الأمريكيـة في ضوء أحـوالهم الخاصة فوجـدوا أنه لا يمكن لأفـراد أقلية مثلهم أن يصلـوا إلى منصب الـرئاسة، إلا أنهم يتمتعـون بكل الفـرص للتقدم التعليمي. لقد اكتشفوا أن التعليم هو تذكرتهم للنجاح، فركّزوا كل طاقاتهم للحصول على التعليم، ولقـوا نجاحاً كبيراً في هذا المجال. ورغم أنهم كانوا (٢) في المائة فقـط بين السكان إلا أنهم احتلوا (٢٠) في المائة من مقاعد المؤسسات التعليمية العليا.

وهذا هو منهج تحقيق النجاح في هذا العالم. فيحدث دائما، في هذا العالم أن أبـواب بعض الفرص تكون مفتـوحة للمرء، بينما تكـون أبواب بعض الفـرص الأخـرى مســدودة في وجهـه. وذكـاء المرء يتمثل في أن يتقدم باستخدام أبواب الفرص المفتوحـة أمامه.. أما لو ناطح الأبواب المسـدودة فهي لن تنفتح له بل سيتهشـم رأسه. إن التعليم هـو تذكـرة النجاح في عـالم اليوم بصورة عامـة، ويمكن لكل إنسان أن يحصل على هذه التذكرة.

وهذا السر في رقي الأفراد هـو عين السر في رقي البلدان والشعوب، وتقدم اليابان أفضل مثال يمكن تقليده في هذا المضمار.

ومن الكتب الكثيرة التي أُلِّفت في السنـوات الأخيرة كتاب للمـؤلف الأمريكي عزرا فوغل بعنوان «اليابان كرقم واحد» (Ezra Vogel, Jpan as Number One) وقـد شرح المؤلف في هـذا الكتـاب كيف نهضت اليابان بعد هزيمتها الشاملـة في الحرب العالمية الثانية لتمثل تحدياً للبلد الفاتح نفسـه. وكما يقول المؤلف: «أصبح اليابانيـون سادة التغيير بدلاً

من أن يكـونوا الضحايـا. التأثير الأجنبي يحطم البلاد الأخـرى، ولكن هذا التأثير جدّد شباب اليابان» (ص ٢٥٦).

ويرى المؤلف أن السر في هـذا النجاح الياباني العظيم هـو أن اليابان غيرت مجال عملها بعـد هزيمتهـا العسكريـة والسياسيـة، فركـزت كل اهتمامهـا على التعليم. ويقـول المؤلف في الفصل الثـالث من هـذا الكتاب: إنه لو كان لنا أن نحدد عـاملاً واحداً للنجاح الياباني المعاصر فهـذا العامل يتمثـل في الدافع الـذي لا حـدود له في الشعـب اليابـاني للبحث عن العلم واكتسابـه. ومما قـاله المؤلف: «حين يأتي زائر أجنبي إلى اليـابان، فغـالبية اليـابانيين الـذين يتعـاملون معـه يفكرون بصـورة جبلّية: «مـاذا يمكنني أن أتعلم منه». والملايين الثـلاثة من اليـابانيين الذين يسـافرون إلى الخارج كل سنة، يبحثون عن أفكـار صغيرة جديدة يمكنهم أن يطبقوها في بلدهم» (ص ٢٩).

إنه تحدٍّ وليس ظلماً

من أقوال إيدموند بورك (١٧٢٩-١٧٩٧): «إن الذي يصارعنا يقوّي من أعصابنا ويشحذ مهاراتنا؛ إن عدونا هو نصيرنا».

وهذا عين ما أشار إليه سعدي الشيرازي في «كلستان» بصورة رمزية في إطار قصة، فقال: «ألا ترى أن الهرة حين تعجز تقلع عين الأسد».

هناك أسلوبان لردِّ الفعل حين تواجه سلوكاً معادياً من الآخرين، الأول: أن تعتبره «ظلماً»، والآخر: أن تعتبره «تحدياً»؛ ولو اعتبرته «ظلماً» فستنطلق شاكياً محتجاً، أما لو اعتبرته «تحدياً» فستنطلق مواجهاً.

ولا ترى العقليةُ الشاكيةُ أن مجال عملها يتعدى الصراخ ضد الجانب الآخر، فهي تستخدم كل ما فيها في معجمها من الكلمات الاحتجاجية. أما العقلية المواجهة فتتجه نحو العمل، فتحاول فهم الأوضاع، وتبحث عن الردِّ الصحيح لإفشال مخططات الطرف الآخر بالحكمة والتدبير.

وعقلية الشكوى والاحتجاج تقود صاحبها إلى طرقٍ يبعثر فيها قواه في أنشطة صاخبة عقيمة، بينما التحدي والمواجهة توقد الكفايات الكامنة في صاحبها فتعطيه همة جديدة فتقوِّيه حتى يغلب الضعيفُ على القوي والهرةُ على الأسد.

والعالم المعاصر هو عالم المواجهة: الشكوى هنا تقود الإنسان إلى الهلاك، والتدبير يقوده إلى البناء والرقي.

ولو كنت تمشي على طريق ما، واعترتك أشواك الأحراش، فماذا تعمل؟ أنت لا تشكو بل تسلك طريق التدبير، وأنت لا تحتج على الأحراش، بل تفكر في كيفية التخلص من أشواكها.

والعاقل يعرف أنه يجب عليه أن يسلك هذا الأسلوب عينه تجاه البشر أيضا. فقد يحدث وأنت تعيش بين البشر أن تصطدم بأحدهم، أو أن يؤذيك أحدهم، أو أن يعتريك شعور إذاءه بأنه لم يُعْطِكَ حقك. وفي كل مرحلة كهذه علينا أن نسلك سبيل التدبير وليس الشكوى.

كل قضية في الحياة تمثل «تحدياً» بدلاً من كونها مجرد «اعتداء» شخصٍ على آخر. ولو اعترتك مشكلة ما ونظرت إليها على أنها قضية اعتداء فستنشأ فيك عقلية الشكوى والاحتجاج، وقد يصل بك الأمر إلى اليأس والقنوط، فتظن أنه لم يعد بوسعك أن تعمل شيئاً ما في الأحوال القائمة. إن عقلية الشكوى تقود صاحبها إلى اليأس، واليأس يقود إلى الانتحار النفسي.

أما على العكس من هذا لو اعترتك مشكلة ما، فاعتبرتها تحدياً، فستستيقظ الكفايات الكامنة فيك، وستتملكك همة جديدة لمواجهة الأوضاع القائمة. ولو كان عقلك يسير على طريق سلبي في الحالة الأولى، فهو سوف يسير على طريق إيجابي في الحالة الثانية. وهذا - بكلمة واحدة- هو السر في النجاح والفشل في هذا العالم.. الذي يتغذى على الشكوى والاحتجاج فلا مصير له إلا الدمار، أما الذي

ينشغل بالبحث عـن التدبير عند مـواجهة المشكـلات، فسوف ينتصر حتماً في نهاية الأمر. فلكل عقدة حل في هذا العالم ولكل مشكلة تدبير.

obeikandl.com

العطاء للمُعْطاء

نشرت صحيفة «تـايمز أوف إنديـا» في ملحقها بتـاريخ ١٨ مارس ١٩٨٩ واقعة تـاريخية ذات درس كبير. وهي تتعلق بمجـيء الفرس أو «البـارسيين» إلى الهنـد. فحين جـاء هـؤلاء إلى الهنـد أول مـرة، نـزلـوا بالشاطئ الغـربي. وكان (يا دورانا) هو ملك غوجـرات آنذاك. فتقدم إليه زعيـم جماعة الفـرس طالباً منـه الإذن لجماعته بـالتوطـن في رحاب دولته. فقـدِّم إليه الملك -رداً على هذا السـؤال- كوباً مليئـاً بالحليب. وكـان هـذا يعني أن دولتـه مليئة بـالفعل بـالبشر، وليس هنـاك متسع للمزيد.

ولم يردّ زعيم الفرس على هذا بكلام، بل أخذ ملعقة من السكر فحركها في الكوب، ثم أعاده إلى الملك. كـانت هذه إشارة بلغة الـرموز بأننا لا نرمي إلى الاستيـلاء على حليبكم بل سنزيد من حـلاوته، وأننا سنـزيد من حـلاوة الحياة في بلـدكم. وبعـد هذا سمح لهم الملك بـالسكن في أنحاء غوجرات.

وقد مَّر على هـذه الواقعة أكثر من ألف سنة. ويقول لنـا التاريخ أن ما قاله زعيم الفـرس قد حققه العامـة من قومه، فلم يرفع البـارسيون لواء الاحتجاج والمطالب في هذا البلد، بل عملوا على رقيه بالجهد الصامت الـدؤوب. لقد بـذلـوا جهداً أكثـر من جهـود الآخـرين، فتقدمـوا في مجالات التعليم والتجارة والصناعة، فزادوا من ثروة البلاد ورقيها.

هناك مجموعات كثيرة في الهند المعاصرة تعتبر من الطوائف «الآخذة»، أما البارسيون فقد أصبحوا طائفة «مِعْطاءة» نتيجة جهدهم وعملهم. وهذا هو سر الحياة. فالذي «يعطي» هو الذي «يأخذ» في هذا العالم. والذي يزيد من حلاوة حليب الآخرين هو الذي يفوز بالإكرام. أما الذين لا يعطون الآخرين إلا المرارة فلا يحصدون في العالم إلا ما يعطونه للآخرين. ولو أردتَ أن تحصل فعليك أن تخرج معطياً، أما لو خرجت مطالباً فلن تحصل على شيء.

التقيت في ٢٤ أغسطس ١٩٨٨ بالسيد/ ب. د. ملهوترا (المولود سنة ١٩٣٥) وهو مدير المطبوعات بالمجمع الأدبي الهندي منذ نحو ٣٠ سنة. أخبرني أنه تأخر في مكتبه ذات يوم، وحين خرج للذهاب إلى بيته كانت الساعة قد قاربت الثانية عشر ليلاً، فأوقفه رجل من الشرطة على إحدى الشوارع، وأمره بإبراز رخصة القيادة.

وحين أدخل السيد ملهوترا يده في جيبه خرجت بطاقة أخرى إلى جانب بطاقة القيادة فأمسك الشرطي بالبطاقتين، وسأله: ما هي هذه البطاقة الثانية؟ وكانت هذه البطاقة الثانية بطاقة التبرع بالعين عند وفاة صاحبها، وهي تحمل توقيع المعطي، وتقول: إنه يتبرع بعينيه للشعب، ويرجو إعلام مستشفى العيون فور موته ومساعدة المستشفى في تحقيق أمنيته.

وكان رجل الشرطة يتحدث معه بكثير من الغلظة قبل هذا، أما حين نظر إلى بطاقة التبرع بالعين تغيرت لهجته، فلم يفحص بطاقة القيادة بل قال لصاحبها أن يمضي في سبيله.

يعتبر التبرع بـالعين من الأعمال النبيلـة في هـذا العصر، وتظهـر النداءات العاطفيـة على التليفزيون تحبذ التبرع بها. وهكـذا حين شاهد رجل الشرطة بطاقـة التبرع بالعين لدى السيد «ملهوتـرا» عرف أنه رجل شريف يحب الخير للآخرين. لقد أصبحت بطـاقة التبرع علامة على أن صـاحبها «يعطي» الآخـرين، وهـذا هو الشيء الـذي ليّن قلب الشرطي لصالحه.

العطـاء في هـذا العـالم من نصيب الـذي يعطي. فـالـذي يعطي الآخرين هو الذي يحصل من الآخـرين، وهو يستحق العطاء حتى ولو عقد العزم فقط على العطاء.

أسلوب الأسد

نشرت صحيفة «تايمز أوف إنديا» في عددها الصادر في ١٨ مارس ١٩٩١ تقريراً حول الأسود، جاء فيه أن الأسود لا تحب المشي على الأعشاب، وذلك لخوفها من أن تصيب الأشواك أقدامها الناعمة، وهي - لذلك - تمشى دائماً على الطرق المفتوحة والشوارع المعبَّدة.

قد تربت الأسود في مدرسة الطبيعة، وهي دائماً تتبع الأسلوب الذي علّمها خالق الكون بصورة جبلّية؛ ولذلك يصح القول أن أسلوب الأسد هذا هو الأسلوب المحبَّب لدى الطبيعة. لقد أُودع هذا الأسلوب الحذر في جبلة الأسد، وقيل للإنسان أيضاً بلغة الشريعة السماوية: «خذوا حذركم».

والهدف الخاص الذي خلق الله تعالى هذا العالم من أجله اقتضى أن تكون هناك طرق معبدة مفتوحة وأخرى مليئة بالأشواك والأحراش. وستبقى هذه الأحراش والأشواك في هذا العالم على وجه الضرورة. ولا يمكن القضاء عليها. والذي يجب علينا هو اتباع الأسلوب الذي يتبعه الأسد والذي أودعه الله تعالى في جبلّته، أي تحاشى الأحراش الشائكة ومواصلة المسيرة على طريق مفتوح ونظيف.

والأسد يمشى متحاشياً أعشاب الغابات، وعلينا نحن معشر البشر أن نواصل مسيرة حياتنا مُعرِضين عن فتن الآخرين من البشر.

فينبغي ألا نُغضِب أحداً بعملنا، ولو غضب علينا الناس وجب علينا تبريد غضبهم بالصبر، وأن نتجنب تبعات غضبهم بالتدبير الحكيم. والذي يفعله ملك الغابة ليس جُبناً بل هو عين الشجاعة. والإنسان الذي يختار هذا الأسلوب في مجتمعه ليس جباناً، بل هو الشجاع بعنيه. فأسلوب الإعراض هو أسلوب الأسد، وليس أسلوب ابن آوى.

ولله تعالى قانون واحد في كونه، والمطلوب أن يتبعه البشر وغير البشر على حدٍّ سواء، ويتخلص هذا القانون في بناء الحياة بالإعراض عن المنغصات.

لو دخلت حديقة الورود ستبهرك زهورها العبقة بالأريج وأوراقها الخضر الجميلة . . ومع هذا تجرحك أشواك أشجار الورود أو تنغرز في ملابسك.

وهناك أسلوبان للتعامل مع هذا؛ أولهما: أن تعتبر الجناييني مسؤولاً عن وجود الأشواك في حديقة الورود، والأسلوب الأخر: هو أن تعترف بأن هذه الأشواك نتيجة لقانون الطبيعة. ولو اعتبرت الجناييني مسؤولاً عن الأشواك فستنموا فيك عقلية الشكوى والتنفر، أما لو اعتبرتها نتيجة لقانون الطبيعة فستعترف بوجود الأشواك كحقيقة لا سبيل إلى تغييرها، وستحاول أن تصل إلى هدفك بالإعراض عنها.

إن وصفة معينة تنمي عقلية الاحتجاج، ووصفة أخرى تحثُّ على الحكمة والتدبير. ومن العبث الاحتجاج على أشواك الورود، فهي ستبقى ما بقيت أشجار الورود وزهورها، وهكذا ستطرأ المنغصات في الحياة الاجتماعية ما بقي البشر على ظهر المعمورة.

ولا حل لهذه المنغصات -الباغثة على الشكوى- إلا الإعراض عنها، ومواصلة مسيرة الحياة بتجاهلها. فالمشكلات الاجتماعية من هذا النوع جزء من خطة الخالق في كونه، وهي لن تنتهي قبل يوم القيامة، إلا أنه يمكننا مواصلة حياتنا بالتعايش معها و تحاشيها.

والأحمق يشتبك بالمنغصات ويصارعها، أما العاقل فيمضي قدماً معرضاً عنها. وهذا -بكلمة واحدة- هو سرُّ الفشل وسرُّ النجاح في العالم. فنتيجة الاشتباك هنا الفشل، ونتيجة الإعراض هنا هو النجاح.

obeikandl.com

ليس بالارتجال

- أمتنا جاهلة وأمية فلِمَ لا تقف لإزالة أميتها؟

- كم نلتَ من التعليم؟

- لسوء الحظ، لم أنل قسطاً وافراً من التعليم.

- فما عليك إلا أن تنتسب إلى إحدى المعاهد، فبذلك ستتخلص أمتنا من أحد الأميين في صفوفها.

هذا الحوار الذي دار بين شخصين يدل على الشيء الذي ينبغي لكل واحد منا أن يقوم به . . وهو أن يبدأ (بنفسه) في العمل دون أن يطلب من (آخر) القيام به.

وأفراد الشعوب الحية يفكرون على منوال: «ماذا ينبغي عليّ أن أفعله». أما لو بدأ أفراد أمة ما يبحثون «عما يجب على الآخرين أن يقوموا به» فاعرف أن تلك الأمة في حالة احتضار. إنَّ حركتها هذه حركة «نزع» وليست بحركة حياة.

عجز الإنسان

وقع حادث جوي فظيع في اليابان في ١٢ أغسطس ١٩٨٥ حين تحطمت طائرة كبيرة من طراز البوينغ ٧٤٧ ، كانت متجهة من طوكيو إلى أوزاكا حين ارتطمت بجبل في طريقها . فلم يبق من ركابها على قيد الحياة إلا بضعة أشخاص ، أما البقية -وعددهم ٥١٩- فقد لقوا حتفهم على الفور.

ومن التفاصيل التي نشرتها الصحف حول هذا الحادث آنذاك أن سيدة يابانية تسمى ماريكوشيراي -البالغة من العمر ٢٦ سنة- كانت من بين الهالكين ، وكان من الأمتعة التي وجدت في حطام الطائرة جدول مواعيد الطائرة ، وكان هذا الجدول في يد السيدة المذكورة خلال لحظات الحادث الأخيرة ، ووجدت على هامش هذا الجدول كلمات بخط يد السيدة ، لم تأت عليها النيران . وهذه الكلمات هي : «أنقذْني رعب . رعب . رعب» (تايمز أوف إنديا ، ٢٦ أغسطس ١٩٨٥) .

لقد ورد في القرآن الكريم : ﴿**وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ (النساء : ٢٨) . والإنسان ينسى ضعفه هذا في أحواله العادية ، فيغتر بنفسه ويخرج عن حدوده ، ولكن حين يصاب بموقف حرج يعود إليه الشعور بأنه ضعيف لاحيلة له ، فيدرك أنه ليس قائماً وباقياً في هذا العالم على أساس قدراته وطاقاته وحدها . . وقد مرت لحظة حرجة كهذه على تلك السيدة اليابانية .

والإنسان يمر بلحظات كهذه في مختلف مراحل حياته، لكي يدرك وضعه ومكانته في هذا العالم، ولكي يختار طريق الواقعية فيعيش متواضعاً إزاء غيره من البشر الذين يشاركونه وجهَ البسيطة . . ولكن الإنسان يتواضع بصورة وقتية حين تمرُّ به لحظة حرجة، ثم لا تكاد تلك اللحظة تمرُّ عنه حتى يقوم هذا الإنسان مغروراً يتحدى إرادة الله ويعتدي على حقوق البشر.

والإنسان الذي يستخلص النتيجة «الكلية» من هذه الوقائع «الجزئية» والوقتية هو الذي يُوفَّق للصلاح في هذا العالم. فالفائز في هذه الحياة هو من يعمم هذه التجربة الشخصية الوقتية على حياته كلها. عليك أن تستخلص درساً وعبرة ونصيحة من حادثٍ وقتي عابر لتقضي حياتك كلها في ضوء تلك التجربة.

تجنب الاستفزاز

يوجد أكبر عدد من الأسود في الهند في غابات «غير» Gir . وقد أُنشئت هنا منطقة محرَّمة مفتوحة لسكن الأسود، حيث لا يجوز اصطيادهم. وكان يوجد بهذه الغابات أول من (٢٠) أسداً في أوائل القرن العشرين، ولكن كان بها (٢٨٠) أسداً حسب إحصاء أُجري في مايو ١٩٩٠ . وقد أصبح هؤلاء الأسود مصدر خطر كبير على البشر القاطنين بالقرب من هذه الغابات. ويقول تقرير نشرته تايمز أوف إنديا (٢٢ أغسطس ١٩٩٠): إن أسود هذه المنطقة قتلوا (٢٦) شخصاً وجرحوا (١٤٠) شخصاً خلال السنتين الماضيتين.

وألفت لجنة بعد هذه الوقائع لدراسة الأمر، وقالت هذه اللجنة في تقريرها: إنه صحيح أن الأسود جرحوا وقتلوا عدداً كبيراً من البشر، ولكنها لم تكن نتيجة وحشية الأسود، بل نتيجة استفزاز البشر وإثارتهم لهذه الأسود.

الأسَد حيوان وحشي، وهو خطر على حياة أي إنسان يقترب منه، ولكن الأسد - رغم وحشيته - يعيش وفق فطرته، وهي ألا يهاجم إنساناً بدون استفزاز وإثارة.

وهذه من دروس الطبيعة التي تقول لنا كيف نتجنَّب ظلم «الحيوانات» البشرية، والتدبير المؤكد الواحد لتجنب ظلم الإنسان

الوحشي هو أن تتركه يعيش وفق فطرته . فكل إنسان يكون تابعاً لفطرته قبل الإستفزاز والإثارة، أما بعد الاستفزاز والإثارة فهو يخرج عن فطرته ويتمرّد عليها . فكأن الفطرة نفسها تمنع كل إنسان من الظلم والفساد . فلِمَ إذن تستفزه وتستعديه وتأخذ الأمور بيديك؟

الأسد حيوان لا ضرر منه قبل إثارته، أما بعد الإثارة فهو يتحول إلى آكل البشر . . لا تستفز الأسد وبالتالي ستسلم من عدوانه .

obeikandi.com

حافظْ على المسافة

تجري مختلف أنواع المركبات الآلية على الشوارع في وقت واحد، وهي تتحرك في مختلف الاتجاهات المتباينة. ولذلك وضعت لوائح المرور؛ لأمن وسلامة كل الذين يستخدمون الشوارع العامة. وقد علِّقت لافتات ببعض تعليمات المرور على مختلف الشوارع وتقاطع الطرق العامة في كل أنحاء العالم؛ لكي يتقيد بها المارّون في مسيرتهم.

وقد شاهدت لافتة من هذا النوع على إحدى شوارع دهلي، وكانت تقول: حافظ على المسافة Keep distance؛ أي حافظ على مسافة معقولة مع السيارة التي تسير أمامك. هذا الإرشاد المروري يحتوي على حكمة بالغة تتعلق بمسيرة الشوارع وبمسيرة الحياة، في آن واحد.

الإنسان لا يعيش وحيداً في هذا العالم، بل هو يقضي حياته محاطاً بعدد كبير من البشر، وكل إنسان من هؤلاء يسعى لتحقيق أهدافه الشخصية، وكل إنسان هنا يحمل بعض الأماني، وكل إنسان هنا يريد أن يسبق الآخرين في مسيرة الحياة.

وهذا الوضع يتطلب منا أن نتمسك دائماً بمبدأ «حافظ على المسافة» في حياتنا، وأن نحافظ على بُعْدٍ معقول من الآخرين؛ لكي نواصل مسيرتنا دون الاصطدام بأحد.

والقرآن يطلق على هذه الحكمة وصف «الإعراض». ولو لم تراع حكمة «الإعراض»، فمصالحك ستصطدم بمصالح شخص آخر، وكلامك الفظّ سيثير شخصاً آخر، وعدم التزامك بالحيطة سيربكك مع شخص ثالث، بدون لزوم.

والذي يحدث بعد اصطدام كهذا في مسيرة الحياة هو عين ما يحدث على الشوارع العامة، أي: الحادث. وحادث الشوارع يوقف مسيرة السيارة وصاحبها لبعض الوقت، بل وقد يؤدي إلى القضاء على حياة المسافر.. وهكذا - نتيجة عدم الالتزام بالمبدأ الآنف الذكر - قد تتوقف مسيرة الحياة، بل ومن الممكن أن تُحْرَم حتى من حياتك، فيزول وجودك من على صفحة التاريخ تماماً كما يزيل الكاتب حرفاً صدر من قلمه على وجه الخطأ.

والأمثلة كثيرة على هذا في ماضينا وحاضرنا.. فكلما تعدى شخص ما حدوده أصيب -بالضرورة- بنتيجة وخيمة.

«نِيتين واليا» طفل في الثالثة من عمره يعيش مع أبويه بمنطقة شاهدره بشرق دلهي.. اصطحبه أبواه ليشاهد حديقة الحيوانات بدهلي. شاهد الطفل مختلف الحيوانات إلى أن وصل إلى المنطقة التي توجد بها الأسود، فتوقف هناك لرؤية أسد أبيض، وما كان من الطفل إلا أن تسلل إلى داخل المقصورة الخارجية ومدَّ يده إلى الأسد في المقصورة الداخلية، فوثب الأسد نحو يد الطفل وابتلعها. وهنا تدخل الزوار وأخذوا يضربون الأسد بما توفر هناك. ولكن قبل أن ينسحب الأسد كان قد التهم ذراع الطفل. وأُخِذ الطفل إلى إحدى

المستشفيات حيث أجريت له عملية جراحية عاجلة، فبقي على قيد الحياة، ولكنه حُرِم للأبد من يده اليمنى. وألقى أبوا الطفل -حسب ما نشرته الصحف- مسؤولية الحادث على إدارة حديقة الحيوانات، وقالا: إن حارساً ما، لم يكن موجوداً لدى المقصورة عند الحادث . .

إن غالبية الناس، كلما وقع لهم حادث ما، يبحثون عن شخص آخر ليلقوا عليه المسؤولية، ولكن جهداً كهذا لاطائل من ورائه في هذا العالم، فلا يتقي الحوادث هنا إلا الذي يكبح نفسه، أما الذي يطلق العنان لنفسه فسيصاب بالحوادث بالضرورة، ولن يسعفه استخدام كل كلمات المعجم لتحميل الآخرين تبعات أعماله.

المقصورات في حدائق الحيوانات تهدف إلى فصل الزوار بمسافة أربعة أقدام من الحيوانات المفترسة، وذلك لكي لا يصاب الزوار بأي أذى عند مشاهدة هذه الحيوانات. وأيضاً هناك «مقصورات» للحدِّ من اندفاعنا على كل منعطف من الحياة، والذي يتوقف مدركا حدوده فلا خطر عليه، أما الذي يتجاوز تلك «المقصورات» فلن ينجو من الحوادث، سواء أكان في حديقة الحيوانات أو خارجها.

أهمية الوقت

● ولد اللورد «تشيستَر فِيلد» سنة ١٦٩٤م بلندن وتوفى بها سنة ١٧٧٣م. وقد وجه تشيشتر فيلد الكثير من الرسائل إلى ابنه فيليب ستينهوب يعلِّمه فيها «فن» النجاح في الحياة. وقد نشرت هذه الرسائل فيما بعد. ويقول اللورد تشيسترفيلد في إحدى هذه الرسائل: «أوصيك بأن تحافظ على «الدقائق» من قوتك، ولو فعلت ذلك فإن «الساعات» ستحافظ نفسها بنفسها.

إنك لو لم تضّيع «الدقيقة» من قوتك فستنجو «الساعة» من الضياع تلقائيا، وذلك لأن «الساعة» تتكون من تجمع «الدقائق». فالإنسان الذي يراعي «الجزء» هو الذي يراعي «الكل» . . وذلك لأن «الكل» عبارة عن تجمع الجزء تلو الجزء.

والناس عامة ينسون الجزء والقليل؛ بحثاً عن الكل والكثير. وهم يركزون أذهانهم على الكثير لدرجة أنها تتجاهل القليل. والنتيجة النهائية هي أن مثل هؤلاء لا يحصلون على شيء في نهاية الأمر.

عليك ألا تضيّع أية لمحة من الوقت المتاح لك. فأنت صاحب «الشهور» و«السنوات» لو جمعت «اللحظات» من عمرك وأحسنت استخدامها. ولو أضعت اللحظات فلا شك في أنك ستضيع «الشهور» و «الأعوام».

لو كنت تضيع كل يوم خمس دقائق من كل ساعة من ساعاتك فإنك ستضيع ساعتين خلال يوم واحد، وستضيع ٦٠ ساعة في الشهر و ٧٢٠ ساعة في السنة. وهكذا الكلُّ منا يضيّع الكثير من الوقت المتاح له. والإنسان الذي يوهب ٨٠ سنة من العمر لا يحسن استخدام حتى ٤٠ سنة من عمره.

الوقت أعظم رأسمال متاح لك، فأنقذْه من الضياع. كل نجاح كبير عبارة عن تجمع نجاحات صغيرة كثيرة. ولو رضيت بالصغير من النجاح فسيكون النجاح الكبير من حظك لا محالة.

★ ★ ★

● ولد «المولوي لطف الله» في مدينة دهار اناغار بمنطقة مالْوَاه بالهند سنة ١٨٠٢ . وكان معلماً بسيطاً، ولم يتعلم اللغة الإنجليزية يوماً ما في مدرسة أو جامعة، ولكن سيرة حياته الذاتية - التي كتبها بنفسه بالإنجليزية - نشرتها شركة سميث إيلدرا بلندن سنة ١٨٧٥ بعنوان: «السيرة الذاتي للطف الله: سيد محمدي»

«Autobiography of Lutfullah: A Mohammedan Gentleman»

وكان هذا الكتاب يحوي مقدمة بقلم أحد الأدباء الإنجليز -هو المستر إيست ويك- الذي أثنى على لغة المؤلف الإنجليزية الصحيحة، وأعرب عن استغرابه أن يؤلف هندي كتاباً كبيراً بلغة أجنبية.

كيف حصل المولوي لطف الله على كفاية تأليف بالإنجليزية ينشر بلندن ويثني عليه أديب إنجليزي؟ السرُّ في هذا يكمن في المثل الأُردي الذي يقول: «الكثير عبارة عن تجمع القليل تلو القليل».

بذل المولوي لطف الله جهداً شخصياً كبيراً في تعلم اللغة الإنجليزية. وكان يعلم الموظفين الإنجليز بشركة الهند الشرقية اللغات الهندُوستانية والفارسية والمَرْهَتِية، وكان عدد طلبته من الإنجليز يفوق المائة. ونتيجة علاقته هذا بالإنجليز نشأت فيه رغبة في تعلم لغتهم، فأخذ يدرس اللغة الإنجليزية بالجهد الذاتي، إلى أن أتقنها بعد جهد دام ٨ سنوات.

وهو يقول في كتابه: إنه لم تمرّ عليه خلال هذه السنوات الثمانية ليلة إلا وحفظ قبل الخلود إلى النوم نحو عشر كلمات إنجليزية، ودرس بإمعان عدة صفحات في كتاب «قواعد النحو» للدكتور غِيل كريست. و «عشر كلمات» في ظاهر الأمر عدد قليل، إلا أنها تُضْرَب في ٨ سنوات يصبح صاحبها أديباً للغة أجنبية لدرجة أن أهل اللغة يعترفون بإتقانه للغتهم.

تقبل المخاطر

ج . ر. د . تاتا، من كبار رجال الصناعة في الهند، يبلغ من العمر الآن ٨٥سنة . وهو لا يزال يقود طائرته، ويمارس رياضة التزلج على الجليد . ما السرُّ في صحته ونشاطه رغم بلوغه مثل هذه السن؟ الجواب بكلماته هو: «من الأشياء التي تُبقي على شبابي : استعدادي أن أعيش حياة خطرة . عليك أن تكون مستعداً لتقبل المخاطر في التجارة والرياضة والزواج، بل وفي كل شيء آخر؛ لكي تعيش حياة جديرة بالاعتزاز» .

يقول مثل إنجليزي : «لا مخاطر: لا فائدة» No risk, no gain .. ، فكيف تقود المخاطرُ والأخطارُ الإنسانَ إلى النجاح والرقي؟ السر في ذلك هو أن المخاطر توقظ قوى الإنسان الكامنة، وتجعل من شخصٍ عادي إنساناً غير عادي .

والإنسان يصاب بالجمود والكسل لو لم يواجه الأخطار وامتنع عن تقبل المخاطر . . وستظل كفاياته الطبيعية راقدة، فسيكون بمثابة بذرة لم تتفتح، أو كذخيرة مائية لم تشهد الأمواجَ التي تؤدي بالتالي إلى طوفانات .

حين يواجه الإنسان الأخطارَ ويتقبل المخاطر يستيقظ الاستعداد الفطري المودَع في شخصيته، فيضطره ضغط الأحوال ليتحرك ويسخر كل قوته لحلِّ المشكلات والصعاب التي يواجهها.

هناك كفايات لا متناهية مودعة في كل إنسان، ولكن هذه الكفايات تكون راقدة في بداية الأمر وفي الظروف العادية. ولا تستيقظ هذه الكفايات إلا بالعمل على إيقاظها. والسبيل الوحيد لإيقاظ هذه الكفايات هو التصدي للتحديات المخاطر.

تبدو حياة العافية هادئة في ظاهر الأمر، ولكن الإنسان يدفع الثمن غالياً لركونه إلى حياة العافية، إذ تبقى شخصيته ناقصة، وهو بالتالي لن يصل إلى درجات الرقى التي بإمكانه الوصول إليها.

■ نشرت الصحف الهندية في ٦ يناير ١٩٩٠ أن «محمد أظهر الدين» عين قائدا للفريق القومي للعبة الكِركيت، التي هي اللعبة الأكثر شعبيةً في الهند. وبالتالي رأس محمد أظهر الدين فريق الكركيت الهندي الذي زار نيوزلندا. وكان هذا خبراً غريباً على مراقبي اللعبة في الهند، الذين كانوا يرون أن (سِريكانْت) سيفوز بهذا المنصب، فقد سبق له أن قاد الفريق الهندي بمبارة الشارجة وكأس نهرو، كما كان على رأس الفريق الهندي الذي زار باكستان، ولكن وقع اختيار لجنة الكركيت القومية على محمد أظهر الدين، البالغ من العمر ٢٧ سنة، وهو شاب من حيدر آباد، وقد أطلق عليه وصف «الولد العجيب» بسبب مهارته في اللعبة، وهو ثاني أصغر قائد لفريق الكركيت الهندي حتى الآن. وقد سبق أن تولى مسلم آخر - هو منصور علي خان بَتُودِي - هذا المنصب حين كان يبلغ من العمر ٢١ سنة.

والشيء الذي أوصل أظهر الدين إلى هذ المنصب الرفيع في مجال الألعاب الرياضية هو استعداده الدائم لتقبل التحديات، بل ومواجهتها بالمزيد من القوة. وكان مستقبله كلاعب في الفريق الهندي قد تعرض للخطر قبل شهر فقط من وقوع الاختيار عليه لقيادة الفريق.. فقد حدث في اللعبة الأولى للفريق الهندي بمدينة فيصل آباد بباكستان أن فشل أظهر الدين في إحراز أية نقطة، فخرج من اللعبة بالصفر. ولكن حين جاء دوره للعب خلال اللعبة الثانية أحرز أكثر من مائة نقطة، وهو رقم قياسي في مثل هذه الألعاب. وبذلك أنقذ أظهر الدين مستقبله كلاعب في الفريق الهندي القومي.

قال رئيس لجنة الاختيار الهندية (راج سينغ دونغاربور)، تعليقاً على اختيار أظهر الدين رئيساً للفريق: إنه يحب المواجهة والتحدي كما شوهد في ألعاب باكستان، حيث كان على وشك أن يُمْنَع من اللعب، وهذه الكفاية هي من أهم خصائص القيادة.

هذا العالَم عالم التحديات، ولا ينجح هنا إلا الذين يقررون مواجهة التحديات، وكلما زادت هذه الصفة في شخص ما كلما كان نصيبه أكبر من نجاحات هذا العالم.